رابعاً: في الكتاب

obeikandl.com

obeikandl.com

التوجيه الثقافي.. والمؤشر الحضاري..

هناك أكثر من عامل واحد أدى إلى انتشار الكتاب والتوسع في إنشاء المكتبات والتضخم في تأليف الكتب والدوريات ونشرها، فهناك الازدهار الاقتصادي الذي مرت به الأمم في معظمها، هذا الازدهار أوجد تنظيماً في ساعات العمل أدى إلى وجود فراغ في حياة العاملين، فلجأوا إلى ملء هذا الفراغ بالقراءة وارتياد المكتبات.. وهناك عامل الانصراف إلى التعليم والثقافة بعد الاستقرار الذي تميزت به كثير من المجتمعات، والتعليم والثقافة عاملان رئيسان في انتشار الكتاب.. وعامل ثالث أدى إلى الظاهرة وهو الرغبة في القضاء على الأمية والسعي إلى تضاؤلها على شكل نسبي، والعامل الرابع هو ما حصل للكتاب من تطور نتيجة لتطور أساليب الطباعة وفنونها.. هذه العوامل ساعدت مساعدة جلية على أن تغص المكتبات عموماً بالكتب وأوعية المعلومات الأخرى.

هذا التوسع في النشر والتأليف صحبه توسع في الثقافة عموماً بحيث أصبح من العسير السيطرة على طوفانها فظهرت فيها الشوائب التي دعت إلى حتمية إيجاد نظام دقيق لاستقبال المطبوعات وغيرها بحيث تراعى فيها مصالح عامة اجتماعية وسياسية ودينية كذلك.. ونتيجة لذلك ظهرت فكرة الرقابة على أوعية المعلومات وأصبحت قضية كبرى في ما يقارب ١٣٦٠

هـ ـ ١٩٣٩ م حينما أصدرت جمعية المكتبات الأمريكية وثيقة تصرح فيها بأن القراء لهم الحق في قراءة أي كتاب بغض النظر عن جنس أو جنسية المؤلف أو اتجاهه الاجتماعي والسياسي والديني. . وبما أن القوم كانوا شغوفين بكل ما فيه حرية لذا تحمسوا لهذه الوثيقة تحمساً منقطع النظير بحيث أصبحوا لا يتحفظون على أية مادة علمية تطلب من مكتباتهم. . لكن الأهالي احتجوا على هذا الأسلوب في إباحية الكتاب وإعارته لكل من هب ودب تنفيذاً لوثيقة جمعية المكتبات المذكورة، إذ أحدثت هذه (الحرية) ضرراً اجتماعياً وعقائدياً ونفسياً لم يحسب له حساب. والملاحظ أن الوثيقة لا تتعرض للمادة المؤلفة بقدر ما تتعرض للمؤلف نفسه، وربما كان هذا نتيجة للضغط الذي كان يمارسه المجتمع الغربي ضد الملونين عموماً وأولئك الذين يخالفونهم في الدين، فجاءت هذه الوثيقة لترد على هذا الضغط دون أن تحدد الموضوع الذي يتطرق له المؤلف، وعليه فإن فكرة الرقابة قد لا تكون مقصودة من وراء هذه الوثيقة.

أما كلمة الرقابة فقد أوحت بقيام هيئة مهمتها النظر فيما ينشر أو ينتج ومن ثم البت فيه بطريق قطعي إما بالقبول وإما بالرفض، فلاقت الكلمة شيئاً من عدم الارتياح واقترح إبدالها بكلمة أو عبارة تكون أكثر قبولاً وأقل إيحاء فقيل تبدل بكلمة اختيار المواد، لكن هذه العبارة اصطدمت مع مصطلح متبع في علوم المكتبات مهمته اختيار المواد قبل التزود بها، دون النظر إلى ناحية الرقابة فيها. . ولعل أفضل بديل لهذه الكلمة هي عبارة (التوجيه الثقافي) فهي عبارة أكثر أكاديمية من كلمة الرقابة، ومهما يكن من شيء فالفكرة قائمة وقد أصبحت أمراً ضرورياً يفرض نفسه على جميع المجتمعات، وتنظر لها هذه المجتمعات على أنها الوسيلة الوحيدة التي تحول دون تسرب المعلومات الضارة للمجتمع، فتقوم بتحديد الموضوعات التي يتحفظ عليها وتكون لها هيئة داعية من أبنا المجتمع تقوم

على تطبيق هذه الموضوعات على المجموعات التي يعتزم إدخالها أو نشرها أو إنتاجها، بعدها تقرر هذه الهيئة القبول أو عدمه.

والأمثلة على هذه الظاهرة كثيرة جداً، ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع رئيسية: السياسية والاجتماعية والدينية.. ففي مجتمع مثل المجتمع الشيوعي تجد أن جميع ما يتحدث عن النظام الشيوعي بأسلوب سلبي ممنوع من المكتبات ومتحفظ عليه، كما أن كل ما يتحدث عن نظام حر بأسلوب إيجابي في المجتمع الشيوعي يخضع لأسلوب التوجيه الثقافي وبمثابة الرقابة.

ولعل من أقرب الأمثلة الاجتماعية التي تفرض وجود فكرة التوجيه الثقافي ما تحدثت عنه وسائل الإعلام في زمن غير بعيد من أن شاباً استعار كتاباً يعلم صناعة القنابل فقرأ الكتاب وطبقه وخرج بقنبلة عرضها على العمدة لينال جزاء ما عمل من مكافأة مادية ودعاية إعلامية، فما كان من العمدة إلا أن حاكم أمين المكتبة الذي أعار مثل هذه المادة العلمية لمثل هذا الفتى اليافع، فلو قدر أن كل مكتبة احتوت على مثل هذه النوعية من الكتب لاستطاع الكثيرون صنع القنابل، ولأصبحت القنابل أكثر من الحجارة، ومن ثم أدت إلى تدمير مجتمعات بكاملها.. هذا عدا عدم الدقة في صناعاتها لدى الكثير مما يؤدي إلى أن يخرب الناس بيوتهم بأيديهم بحجة الدعوة إلى حرية الفكر وحرية الاطلاع، ولا يتوقف الأمر على الناحية المادية من صنع القنابل والمفرقعات المعنوية التي أسهم كثير من الكتاب والمؤلفات في تفجيرها والقضاء على الجوانب الخلقية في المجتمع، وهذه ربما كانت أدهى وأمر من الجوانب المادية فهي تنخر في العظام مثل المرض الفتاك الذي يقضي على صاحبه ببطء يصاحبه آلام البشرية كلها في غنى عنها.

وفي فترة من الفترات وفي مجتمع من تلكم المجتمعات التي تتبع أسلوب الاختلاط في التعليم بجميع مراحله دعا مجموعة من المربين إلى

فرض مادة (الثقافة الجنسية) على طلبة المدارس الثانوية، وكان هؤلاء يقصدون من فرض هذه المادة تنوير الناشئة بالوظائف المرادة منهم، بحيث لا تستغل هذه الوظائف استغلالاً مشيناً. . فقررت هذه المادة وألفت فيها الكتب المدرسية وتنوعت فيها المؤلفات والمواد العلمية الأخرى التي تكتنفها أوعية المعلومات، والذي حدث أن كانت النتائج سلبية فزادت هذه المادة وما ساندها من المشكلة مما دعا هؤلاء المربون إلى أن يلجأوا إلى وسائل الإعلام المختلفة فيدعوها لمشاهدة وعرض مؤتمر صحفي لهم أعلنوا فيه تراجعهم عن فكرتهم الأولى وقاموا بإحراق مؤلفاتهم أمام وسائل الإعلام وكتبوا وثيقة يعتذرون بها عما ساهموا فيه في استشراء المشكلة وتفاقمها في الوقت الذي كانوا يفكرون فيه أنهم يسعون إلى حلها، كما اتضح لهم أن المشكلة تكمن في فكرة دمج الأبناء والبنات الناشئين والناشئات في مؤسسات تعليمية مشتركة.

وكان على هؤلاء أن يعتذروا لأن نتائج فكرتهم امتدت إلى أن غصت المكتبات بالدراسات والمؤلفات التي تبدو في ظاهرها أنها مؤلفات علمية، لكنها كانت تخدم أغراضاً وأهدافاً عميقة رسختها منظمات عالمية كان ولا يزال على رأس مهماتها السعي إلى تمييع المثل والأخلاق التي تقوم عليها المجتمعات وقد كان النجاح حليفاً لها في تلكم المجتمعات التي رحبت بها واحتضنتها تحت اسم حرية الفكر وحرية القراءة.

وليس أدل على ذلك من وجود كتب تحوي معلومات عن عمليات لا يمكن أن يقوم بها إلا المختصون وبظروف خاصة جداً يفرضها وجود حالات دقيقة مثل عملية الإجهاض في تلك المجتمعات التي تدعي التقدم والتطور. . وهذه العملية لا تتم أصلاً إلا بظروف معينة يحددها أشخاص لهم شأن وفي حالات مرضية ربما كانت مستعصية. . لكن مما يؤسف له أن المكتبة ساهمت في نشر المواد العلمية التي تبين كيفية الإجهاض،

فصارت الفتاة تستعير الكتاب مباشرة أو عن طريق أحد البالغين وتقوم بالعملية بنفسها دون إشراف طبي لأنها تورطت في القضية وتريد أن تتخلص منها دون أن يشيع خبرها.. وقد شن كثير من المهتمين الحملات الدعائية ضد وجود مثل هذه الكتب في المكتبة كما وصل الأمر إلى رفع قضايا حول الموضوع، ودافع عنها أناس ووقف ضدها آخرون والجميع لديه الحجج والبراهين على جواز إتاحة مثل هذه الكتب، وعلى عدم الجواز من النواحي الدينية والدستورية والاجتماعية والأخلاقية، ومع أن مثل هذه المجتمعات قد تورطت فيما أسموه حرية الفكر إلا أن هناك فئات من المواطنين قد ملت هذه العبارة على إطلاقها ودعت إلى تقييدها بقيود تكفل سلامة المجتمع وصيانته من النكبات بحيث تكون المكتبة عاملاً فعالاً في السير بالمجتمع نحو الأفضل بدلاً من أن تكون معول هدم تحت شعارات تدغدغ العواطف، ودليلها الحاضر ما عانته وتعانيه تلك المجتمعات غير الإسلامية في الشرق والغرب.

هذا عن وجود بعض أوعية المعلومات التي تقتنيها المكتبات، أما الأوعية الرخيصة التي قصد من ورائها ما تدل عليها وهي صريحة في ذلك فليست مجال تركيزنا هنا، لأنها أصلاً إنما أنتجت لهذا الغرض فالجانب الثقافي فيها غير وارد، وليس هناك من يدعي أنها تؤدي دوراً بناءً في خدمة المجتمع الذي يعتبر الهدف الأول والرئيسي في خدمات المكتبة.

على أن إعطاء هذه الأمثلة المقتبسة من بيئة بعينها لا يعني عدم وجودها في بيئات أخرى، ولكنها جاءت نتيجة للمعايشة والدراسة والنقاش الطويل حول هذه الموضوعات التي تضمها جميعاً فكرة التوجيه الثقافي في تلكم البيئة، فلا يراد منها هنا إغفال أن العالم العربي نفسه يحفل بمواد كثيرة لا بد أن تخضع لهذه الفكرة على أيدي المربين والمصلحين الذين يسعون لسعادة هذه المنطقة، وعليه فإنه يقع على عاتق هؤلاء ـ وهم عادة

تضمهم هيئة محددة ـ مسؤولية كبرى في تطبيق فكرة التوجيه الثقافي حسب ما تمليه عليهم سياسات ونظم الرقعة التي يغطونها، وهذه المسؤولية ربما لم تقتصر على ما يرد إلى المنطقة من أوعية المعلومات التي تخالف الخط الذي تسير عليه هذه المنطقة أو البيئة، وإنما تمتد المسؤولية إلى وضع سياسة واضحة للنشر والإنتاج المحلي بحيث يخضع لها جميع الناشرين والمنتجين محلياً ويقومون على مراعاتها وتطبيقها.

أما أولئك الذين يدعون إلى ما يسمونه (بحرية الفكر وحرية المطالعة) فهم ولا شك موجودون في كل البيئات.

والأمر المؤلم هنا أن الاستدراك لخطأ هذه النظرة من قبل الأفراد لا يتم في غالب الأحيان إلا من خلال عاملين رئيسيين: أحدهما أن يصدم الشخص صدمة نفسية أو اجتماعية نتيجة لتبنيه الفكرة المبنية على عدم استخدام أسلوب التوجيه الثقافي له ولأفراد أسرته، والعامل الآخر هو التقدم في السن ووزن الأمور وزناً قائماً على التعقل والنظر إلى المصلحة العامة قبل تتبع الشعارات وملاحقتها، وعلى كل حال فالعائدون إلى ساحة التوجيه الثقافي بعد أن كانوا ضدها غالباً ما يؤثرون في الكثيرين ويكشفون مساوىء أسلوبهم الذي كانوا عليه، وما أدى إليه من نكبات شخصية واجتماعية لا تزال كثير من المجتمعات تتجرع مرارتها.

ومما يجدر التوقف عنده هنا هو أن التوجيه الثقافي إذا اتضحت فكرته وأهدافه، لا يتوقف على هيئة بعينها بل إن الكثيرين يشتركون في هذه الفكرة، فأمين المكتبة مثلاً عليه قسط لا بأس به من استخدام أسلوب التوجيه الثقافي في مكتبته، ورب الأسرة كذلك تقع على عاتقه هذه المسؤولية فيما يتعلق بأبنائه وبناته، فهو يمارس معهم هذا الأسلوب بطريقة غالباً ما تقوم على الإقناع، وربما طلب من ربة البيت كذلك أن تأخذ مهمة الشارح والمفسر لكثير من الظواهر التي يتعرض لها الأبناء

والبنات سواء عن طريق القراءة أو السماع أو المشاهدة. وأئمة المساجد وخطباء الجوامع أيضاً لهم دور في التنبيه إلى الأخطار التي تهدد المجتمع عن طريق الكتاب أو أي وعاء من أوعية المعلومات الأخرى، ولعل الخطباء مطالبون باتباع أساليب الإقناع العلمية القائمة على إعطاء فكرة واضحة عن الموضوع يكون فيها عمق يراعى فيه المصلون ليتجنب بهذا الجانب العاطفي الذي ربما اتبعه البعض فقل الإقناع، وربما أدى إلى الاستمرار في إغفال ناحية التوجيه الثقافي، والأستاذ في فصله وبين طلابه لا يقل مسؤولية عن الفئات الأخرى خاصة أنه ينتظر منه أن يكون قدوة لتلامذته، ولن يكون قدوة ما لم يؤمن إيماناً صادقاً بأن له تأثيراً مباشراً على طلبته، ربما لا يحسه ولكنه موجود، وهكذا فالمسؤولية مشتركة ولاتتوقف على عنصر واحد، بل تتضافر الجهود لبناء مجتمع فاضل. ولا بد من السعي في هذا الطريق وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم.

والنتيجة أن استخدام أسلوب التوجيه الثقافي أصبح معلماً من معالم الحضارة لدى الشعوب، كما أنه أصبح ضرورة فرضتها عوامل كثيرة يأتي على رأسها ما يطلق عليه عادة تدفق المعلومات وتبعثرها، مما حدا بالبعض الذي نظر إلى ضرورة استخدام هذا الأسلوب إلى اتهام جهات بعينها بأنها تسعى إلى تلويث المعلومات وملئها بالشوائب، ليس عن طريق الكتاب المطبوع فحسب، بل عن طريق المواد السمعية والبصرية كذلك.. وأصبح لزاماً على الدول في مرافقها المختلفة أن تضع السياسة الصريحة الواضحة التي تحد من هذا التدفق المهول، كما أنه أصبح لزاماً عليها إشعار ذوي الشأن من آباء وأمهات وعاملين في حقول التعليم بالمسؤولية المناطة بهم حيال هذه الظاهرة.. وفق الله الجميع لما فيه الخير، وكان في عون الجميع.

الجزيرة ـ الجمعة ٢٤ محرم ١٤٠٥ هـ

الموافق ١٩ اكتوبر ١٩٨٤ م ـ العدد ٤٤٠٤

مراقبة المكتوبات (١)

نعلم أن هناك إدارة عامة للمطبوعات تشرف/ تراقب المطبوعات الداخلة إلى البلاد أو الصادرة من الداخل وتطبق عليها معايير يفسح بموجبها المطبوع أو يتحفظ عليه. ورقابة المطبوعات أسلوب عالمي معروف تقوم به معظم دول العالم إنْ لم يكن جميع دول العالم وكل يراقب بمقدار. ولا تقتصر هذه الرقابة على المطبوعات، ولكنها تشمل جميع أوعية المعلومات، ولكن التسمية تأتي من باب التغليب.

وتتبع هذه الإدارة لوزارة الإعلام، وللوزارة مندوبون على مداخل البلاد البرية والبحرية والجوية تحال **إليها أوعية المعلومات للنظر فيها والاجتهاد في اتخاذ موقف منها، لأن هؤلاء المندوبين ليسوا على قدر من الثقافة العامة ـ على العموم ـ تؤهلهم للحكم على جميع محتويات أوعية المعلومات من كتب ومجلات** وأشرطة مسموعة أو مرئية ومسموعة ولوحات ورسوم وغيرها، وليس هذا قدحاً في هؤلاء المندوبين، ولكنه الواقع الذي جعل المعرفة تتشعَّب، وجعل الموضوعات تتداخل وتترابط فيما بينها، كما جعل الأشكال/ الأوعية تتعدد. **وكثيراً ما يقف المندوب حائراً أمام مادة علمية أو ثقافية أو ترفيهية يقيسها على المعايير فيجد المعايير قاصرة في الحكم عليها، وما دام الأصل** في الأشياء الإباحة

كقاعدة أصولية معروفة فإنه يتوقع من المندوب أن يفسح ما تنطبق عليها المعايير/ أي لا يقع في دائرة الممنوعات، ولكن بعض المندوبين عندما يحتار أمام مادة علمية فإنه غالباً يغلب جانب الحيطة، فيمنع المادة من الدخول للاحتياط، وليس لأن المادة لا تدخل في إطار المسموحات، فهي تقف بين الممنوع والمسموح به، ويعتمد الأمر هنا على الحوار بين المندوب وصاحب المادة، وتظهر على صاحب المادة عادة علامات توحي بأن المادة غير طيبة، وتظهر عليه أحياناً علامات جادة واثقة بأنه لا غبار على المادة التي تحتوي معلومات علمية أو ثقافية أو ترفيهية. وبناءً على هذا الحوار أو المقابلة الشخصية يتم اتخاذ قرار، **ومع هذا يصر بعض المندوبين على الاعتماد على الحيطة ليبرئوا ساحتهم من أي مساءلة قد تحدث لهم فيما لو علمت الجهات المختصة بدخول مادة مخالفة للتوجه العام للدولة، أي دولة.**

والمملكة العربية السعودية مترامية الأطراف، متعددة المداخل، وكثيرون القادمون إليها من شتى الجنسيات وأكثر اللغات ومختلفة الثقافات، وهذا وحده عبء كبير على الإدارة العامة للمطبوعات، وعبء أكبر على مندوبي الإدارة في المداخل الذين تجد بعضهم ربما يكتفي بتقليب الكتاب للنظر فيما إذا كان يحوي صوراً غير مرغوب فيها، أما النص فهو في لغة لا يقرأها ولا يفهمها، ومهما كانت هذه اللغة موجهة إلى جالية صغيرة في البلاد إلا أن المشكل هنا هو تسرُّب المعلومات أو تسريبها إلى من لا تراد لهم. ولا أظن أنه من السهولة السيطرة على مثل هذا مهما وضع من معايير، لكن الصعوبة هذه لا تعني الاستلام لهذا الخضم الزاخر من المعلومات التي يعاني منها العالم كله من حيث الكم كما يعاني منها من حيث النوع والكيف.

والحديث عن هذه النقطة في مراقبة المطبوعات بالمفهوم العام لهذا

الإطلاق يمهد لنا الطريق للدخول في الحديث عن مفهوم لعله جديد من حيث الإثارة قديم من حيث وجود هذه الجاليات التي تتحدث لغات لا يفهمها الناس العاديون. وأتوقف هنا عند هذا المدخل لضيق المجال آملاً تكملته في الوقفة القادمة ـ بإذن الله تعالى، وكان الله في عون الجميع.

obeikandl.com

مراقبة المكتوبات (٢)

مرور المملكة العربية السعودية على خمس خطط للتنمية حتى الآن أدى بالضرورة إلى الاستعانة بالطاقة البشرية لتحقيق هذه الخطط. والطاقة البشرية متنوعة المستويات من حيث المؤهلات من المستشارين والخبراء إلى سائقي الشاحنات والمعدات. وجزء غير يسير من العمال الفنيين وغير المؤهلين استقدموا من الشرق، من بلاد إسلامية وبلاد المسلمون فيها أقلية. ومعظم هؤلاء العمال من الشباب. والشباب في كل مكان لهم أسلوب في التعامل مع الحياة تغلب عليه سمات التمرد وعدم الرضا بأي وضع قائم. ثم يضاف إلى ذلك نزعة بعض الشباب إلى اللهو والعبث.

وهذا ما يدخلنا إلى موضوع المكتوبات، حيث انعكست هذه النزعات عند الشباب العمال على شاحناتهم وسياراتهم ومعسكراتهم التي يهجعون إليها. فتجد في هذه الشاحنات وتلك الأماكن كتابات بلغات مفهومة عندنا كالانجليزية ولغات أخرى غير مفهومة عندنا كاللغات الآسيوية المتعددة. وحيث إننا لا نفهم هذه اللغات فإن منظر كتابة في خلف شاحنة يجعل المرء من باب الفضول أحياناً ومن الشعور بالرغبة في حماية المجتمع السعودي أحياناً أخرى، يشكك في نزاهة هذه الكتابات. وينظر إليها على أنها كتابات تعبر عن نزوات الشباب ونزعاتهم.

وحيث إنني شخصياً قد صادفت بعض الكتابات باللغة الانجليزية المفهومة لديَّ فوجدتها مغرقة في الإسفاف، فإني سأفترض هنا أن مما يكتب باللغات الأخرى ومن قبل هؤلاء العمال سيكون على درجة من الإسفاف مما لم نتعود عليه في مجتمعنا، سواء على الجدران أو على السيارات، وكل ما نذكره هنا على الشاحنات عبارات فيها تعلق بالله تعالى أو فيها شيء من الوجد والرغبة في العودة إلى الأهل والأحبة من ألفاظ متحفظة طيبة لا يمكن المرء شيئاً من الاعتراض عليها.

أما أصحاب الثقافات الأخرى وغير واضحي الهوية الثقافية فإن المرء يتوقع منهم شيئاً من الكتابات التي يعبرون بها عن وضعهم في هذه البلاد النظيفة من حيث علاقاتهم الاجتماعية، وهنا الخطر الذي ينبغي التنبه إليه.

وإذا كان من الصعوبة الدخول في الخصوصيات فإنه مع هذا ينبغي على رجال الأعمال الذين يستقدمون هؤلاء العمال أن يُعملوا معهم أسلوباً في مراقبة المكتوبات في غرفهم ومساكنهم ومنافعها بحيث لا تكون هذه الأماكن تعبيراً عن وضع غير طبيعي في بلادهم هم قبل أن يكون غير طبيعي في بلادنا نحن.

وقد ذكرت في وقفة سابقة أن مراقبة المطبوعات لا تقتصر على الكتاب المطبوع أو المجلة، والحال هنا كذلك مع المكتوبات، إذ لا يعني هنا التركيز على الشاحنات والناقلات، بل إن المرء ليلحظ أحياناً كتابات على الملابس، وهذه مشكلة لا تقتصر على العمال وحدهم، ولا يتحمل مغبتها العاملون، بل شاعت بين الناس حتى أولئك الذين لا يجيدون اللغة التي كتبت بها عبارات على ملابس الصغار والكبار، ودون سابق عمر تجد الطفل قد لبس «فنيلة» عليها عبارة فاضحة، فإذا كاشفت أباه عنها ضحك وقال لك إنه لا يجيد هذه اللغة على أي حال.

وأتوقف هنا خاتماً بأن مراقبة المكتوبات. مثل مراقبة المطبوعات. لا تتوقف عند مجرد قرار إداري بالمنع والمراقبة، إذ يبدو أن التوعية كفيلة بالتخلص من هذه الأشكال حتى بين العمال، وكان الله في عون الجميع.

البلاد، العدد ١٠٠٠٦ ـ السبت ١٠/ ٥/ ١٤١٢ هـ

الموافق ١٦/ ١١/ ١٩٩١ م

obeikandl.com

أسبوع المكتبات.. ومصير الكتاب

يختتم اليوم الجمعة أسبوع المساجد، وقبله انتهت أسابيع متعددة كانت مخصصة للمرور والنظافة وإرشاد المستهلك وكانت حافلة بالتركيز على موضوع الأسبوع من حيث الرعاية والجهود.

ولعل العامل المشترك بين هذه الأسابيع على اختلاف اهتماماتها، هو القصد المباشر إلى توعية المواطنين والمقيمين على حد سواء، لما لهذه الموضوعات من أهمية في حياتهم. وهذه الأهمية ـ على اختلاف في ثقلها ـ تنطبق على مجموعة من النواحي التي تخدم المجتمع خدمة مباشرة.. ولعل التركيز هنا ينصب على المكتبة لما لها من تأثير فعال على حياة الأمم وسلامة مجتمعاتهم من آفات تعتريها، فالمكتبة تساهم في التغلب على مشاكل كثيرة وقضايا متعددة ملموسة في مجتمعات ما يسمونه بالمناطق النامية، فالمكتبة تساهم في القضاء على الأمية وعدم الاستمرار فيها أو العودة إليها، خاصة إذا علمنا أن حوالى سبعين بالمئة من سكان المنطقة العربية لا يزالون يعانون من الأمية. وهناك قضايا أخرى كثيرة ينظر إليها بمنظور محلي بحت تجد المكتبة تساهم في التغلب عليها، وقد أوصل أحد الباحثين مساهمة المكتبة في القضايا الاجتماعية إلى أنها عامل فعَّال في التغلب على مشاكل اجتماعية مستشرية مثل غلاء المهور الذي لا

يزال موضع نقاش بين الناس. حقيقة أن المكتبة لا تعالج مثل هذه القضية معالجة سريعة ومباشرة ولكنها على أي حال تساهم في المعالجة إذا ما كثر مرتادوها من المواطنين.

والمكتبة اليوم تعيش بين مجموعة من المنافسين الذين يصحبون المستفيدين من المطالعين والقراء أينما ذهبوا، بينما هي تقف في مكانها مادة يديها مرحبة ترجو من ينهل من معينها. وعليه فإن المكتبة اليوم بحاجة ماسة إلى أن تنال من أساليب التوعية الشيء الكثير، خاصة أن كثيراً من الناس عموماً يفكرون في المكتبات التجارية التي تبيع الكتب والكراسات ونحوها، وذلك عندما تذكر أمامهم كلمة «مكتبة» ولعل من أساليب التوعية ـ وهي كثيرة ـ تخصيص أسبوع واحد للمكتبة يؤكد فيه على مساهمة المكتبة في القضاء أو التغلب على قضايا اجتماعية كثيرة، بالإضافة إلى أنها مصدر من مصادر الثقافة والمعرفة والترفيه السليم البنَّاء.

وأسبوع المكتبات هذا يحتاج فيما يحتاج إليه إلى أن تكون هنالك جهة علمية أو ثقافية تسعى إلى الترتيب له واتخاذ الوسائل المناسبة لاستغلال هذا الأسبوع استغلالاً فعالاً بحيث تعرض المعرفة على الناس ويوحى إليهم بوجودها في المكتبة. ولكي يكتسب هذا الأسبوع قبولاً لدى المواطنين فإنه من الأفضل تجنب الناحية التجارية فيه والمتمثلة في معارض الكتب التي تقام بين الآونة والأخرى، إذ إن هذه الفكرة لها أسلوبها كما لها أوقاتها وجهاتها التي تتبناها، فيكتفى في هذا الأسبوع بجانب التوعية فقط وذلك بالاستعانة بوسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفزيون، بالإضافة إلى الندوات والمحاضرات والأحاديث التي تركز على أن المكتبة عامل مهم من العوامل التي يقوم عليها المجتمع، بل ربما أصبحت قاعدة قوية من القواعد الرئيسية التي يقوم عليها المجتمع، ولا بأس من تنقل بعض المكتبات السيارة في المدن والقرى واستخدامها

وسيلة من الوسائل التي يستعان بها في إعطاء فكرة شاملة عن المكتبة وما لها من أهمية.

هذه الأساليب سوف توحي للناس أن المكتبات إنما أنشئت لهم وليست مقصورة على فئة منهم ممن يسمونهم المثقفين الذين تعودوا على ارتياد المكتبة والاستفادة منها. وفي هذا الأسلوب تسعى نحو إعطاء الناس عموماً الفكرة الحقة عن المكتبة وأنها لم تعد اليوم مستودعاً للكتاب لمجرد تخزينه وحفظه.

والأمر في هذا الأسبوع، ربما لا يقتصر على المكتبات العامة، بل ربما شمل المكتبات الجامعية والمتخصصة والمدرسية كل حسب ما يرى المكتبة من حيث كونها وسيلة فعَّالة في مسيرة الوظائف التي تقوم بها المؤسسات التي تخدمها هذه المكتبات، وهذه المؤسسات تساهم في محيطها أولاً ثم تخرج إلى الناس لتكون عوناً للمكتبة العامة في نشر الوعي «المكتبي» بين المواطنين.

ولا بد من التأكيد هنا على أن هذا الأسبوع. إنما هو للتعريف بالمكتبة لا بالكتاب، حيث إن هناك فرقاً شاسعاً بين المفهومين فالكتاب إنما هو جزء أحد من أشكال كثيرة تحويها المكتبة، وإن كان هو أول ما يفكر به المرء الذي تذكر عنده كلمة «مكتبة» وسنعرض لمنافسي الكتاب في الفقرة التالية لنوضح أن الكتاب لم يعد اليوم هو الوسيلة الوحيدة للنهل من المعرفة كما كان عليه من قبل.

ولعل خير من يقوم بهذا الأسلوب في التوعية المكتبية مؤسسة تعليمية علمية ثقافية تكون مهمتها العناية بالكتاب والمكتبة، والاهتمام بشؤونها وشؤون العاملين بها، ومن يسعون إلى ملئها بالمتخصصين من أساتذة وعلماء علوم المكتبات، قد تسمى هذه المؤسسة جمعية أسوة بالجمعيات المنتشرة في العالم عموماً وفي المحيط العربي بوجه خاص،

وهذه المؤسسة مشهود لها بالتأثير العلمي الفعال والإيجابي في النهوض بالمكتبة وخدماتها من خلال ما تقوم به من مهام علمية تنصب على تقديم المعرفة للمواطنين باتباع أفضل السبل وأنجحها وأسرعها. وذلك عن طريق الاستمرار في تطوير خدمات المكتبة، ومن ذلك اهتمام هذه المؤسسة بأساليب التوعية مثل أسبوع المكتبات ونحوه من أساليب.

والخلاصة هنا أن المكتبة بحاجةإلى أن «تنزل» إلى الناس لتشعرهم أنها تساهم في التغلب على قضاياهم الاجتماعية، ونزول المكتبة هذا قد يتم عن طريق وسائل التوعية المتعددة المستمرة، لكنها تكون مكثفة في حقبة زمنية نستطيع أن نسميها «أسبوع المكتبات».

مستقبل الكتاب:

الكتاب المتعارف عليه بيننا كان ولا يزال وسيلة من وسائل نقل المعرفة من الأذهان إلى الأمم، وقد ساعد على كون الكتاب وسيلة من وسائل نقل المعرفة كونه يصل إلينا مطبوعاً بدلاً من أن يكون مخطوطاً كما كان عليه قبل القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر الميلادي الذي شهد اللمسات الأولى للطباعة. . وقد كان في هذه الفترة من الزمن هو الوسيلة الوحيدة لنقل المعرفة العامة، ثم يأتي أسلوب جديد بدأ في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي حينما ظهرت بوادر الدوريات أو «المجلات» التي بدأت تعمد إلى الاختصار في المادة العلمية والتنويع في الأفكار المطروحة. ومع هذا يظل الكتاب ينظر إليه نظرة تختلف عن النظرة للدورية حتى اليوم، وإذا صحت الإحصاءات فإن هناك ما يقرب من سبعة ملايين كتاب ٧,٠٠٠,٠٠٠ تصدر سنوياً، وهي في ازدياد مستمر حيث تتعدد منابع المعرفة وتتعدد لغاتها. لكن هذا الازدياد مصحوب بازدياد في أشكال أخرى تقوم بالمهمة ذاتها، فليست زيادة

العدد المطبوع من الكتب تأتي على حساب الأشكال الأخرى، بل إن عامل التضخم في الإنتاج الفكري يساهم في هذه الزيادة على مستوى أشكال نقل المعرفة على حد سواء، فالزيادة في تأليف الكتاب وطباعته تقابله زيادة في إصدار الدوريات والصحف والتقارير والمصغرات الفلمية وتخزين المعلومات في الحاسب الآلي وغيرها من الأشكال. وهذه الزيادة ربما تضاعفت كل خمس عشرة سنة، ويكفي أن نعلم أن مستخلصات ما ينشر في مجال العلوم والتكنولوجيا قد وصل إلى ٦,٠٠٠,٠٠٠ ستة ملايين مستخلص في هذا المجال فقط.

الكتاب اليوم يواجه ما يمكن أن نسميه بالتحديات من قبل عوامل مختلفة، يأتي على رأسها العامل المادي، فالطباعة وأساليبها والورق بأنواعه تسير في زيادة مستمرة مما ينعكس على قيمة الكتاب المادية، التي ربما تخطت في بعض المؤلفات القيمة العلمية للكتاب. والكتاب يميل إلى نقل ما يسمى بالمعرفة الثابتة التي قل أن تخضع للمراجعة والزيادة والنقص، بينما كثير من التخصصات العلمية والتقنية متغيرة متطورة نحو الأفضل، وهذا التغير يتطلب سرعة في النشر قد لا تتوافر في الكتاب إذا لاحظنا مدة تأليفه وقبول نشره ودفعه إلى المطبعة ومن ثم استخلاصه والدعاية له، حتى ليقال أنه إذا ما وصل الناس إلى خبر الكتاب تكون معلوماته قد عفا عليها الزمن، وفي هذه الدعوى مبالغة ولا شك لكنها لا تخلو من شيء من الصحة.

ولعل عامل الزمن يفرض تحدياً آخر أمام مسيرة الكتاب، إذ يقل اليوم من يقرأ الكتاب من غلافه إلى غلافه مثلما كانت عليه الحال من قبل. تجدك اليوم تقلب الكتاب وربما قرأت منه فصلاً أو فصلين، لكنك يندر أن تقرأه كله، وإذا كنت ممن يقرأونه كله تجد نفسك قد أنفقت فيه وقتاً أكثر مما تنفقه فيه في زمن ليس بالبعيد، ويشجع على هذه الفكرة

أنك ربما وجدت الأفكار العلمية ذاتها التي حواها الكتاب ملخصة مركزة في مقالة من دورية أو في مستخلص أو عرض للكتاب، أو ربما وجدتها مترجمة إلى أسلوب آخر وضعت على شكل شريط علمي أو صورة جمالية أو رسم هندسي يغنيك عن التوسع في قراءة الكتاب. خاصة إذا علمنا أن خدمات الكتاب الثانوية مثل المستخلصات بدأت تصدر قبل صدور الكتاب في بعض المواقف.

وتنص إحدى الدراسات حول استخدام الكتاب على أن الاستفادة منه في نقل المعرفة يقلل الاهتمام بها كلما تعمقنا في التخصصات العلمية، وقد اتهمت إحدى الدراسات فئة المهندسين بأنهم لا يقرأون، هذا لا يعني الإطلاقة المروَّجة، وإنما يقصد أن المهندسين عموماً لا ينمون معلوماتهم التخصصية من خلال قراءة الكتب والمقالات أكثر من تنميتهم لها عن طريق الاستعانة بالأدلة التي تعين على تصميم الآلة وتشغيلها وصيانتها. ثم يأتي بعد ذلك علماء العلوم البحتة والتطبيقية الذين يعمدون إلى قراءة المقالات الدورية أكثر من اعتمادهم على الكتاب، نظراً لحاجتهم إلى الجديد والسريع في فنهم. وفي مرتبة ثالثة يأتي علماء العلوم الاجتماعية ومن هم متخصصون فيها حيث يعتمدون على الشكلين الكتاب والدورية، في استقاء معلوماتهم، بعدها علماء العلوم الإنسانية الذين يعتمدون على الكتاب نظراً لأنهم يستخدمون المعلومات الثابتة أكثر من غيرهم، وعلى كل فالجميع يستخدمون أشكال المعرفة لكنها النسب التي تتفاوت. ومثل هذه الدراسة صدرت في «كتاب» تتوقع أن يستغني العالم عن الورق في غضون سنين معدودة بحيث يصبح العالم خالياً من الورق من حيث استخدامه كوسيلة لنقل المعلومات، وهذه الدراسة متفائلة جداً لكنها مع ذلك لا تخلو من شيء من الواقعية.

الحاسب الآلي والكتاب:

المكان اليوم أصبح مشكلة يواجهها الكتاب، إذا إن أرفف المكتبات

تغص بالكتب، ورغم المحاولات التي تساهم في التخلص من الكتب غير المستعملة لتحل محلها كتب أخرى، إلا أن المكتبات تشتكي الضيق، خاصة أنها دار في خلدها وجود بديل لهذه الكتب يحمل المعلومات ذاتها، لكنه أصغر حجماً وربما أقل كلفة من الكتاب. فقد تعرفت المكتبة على ما يسمى بالحاسب الآلي من جهة وعلى الأشكال المصغرة من جهة. ولاحظت أنه يمكن أن توضع موسوعة كاملة بمجلداتها الخمسة والعشرين وصفحاتها التي تزيد على خمسة وعشرين ألف صفحة (٢٥٠٠٠) يمكن أن تشغل حيزاً في حجم علبة الكبريت المتعارف عليها! بينما كانت تشغل ما يزيد على المتر طولاً بالإضافة إلى العرض والارتفاع والثقل وما إلى ذلك. وقد تنبأ بهذه الفكرة كاتب نشر مقالة له في عام ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٥ م. واليوم تنبؤاته أصبحت حقيقة. بل إن الأمر تعدى هذا إلى وضع كتاب يقع في «١٢٠٠» ألف ومئتي صفحة في شكل مصغر لا يتجاوز البوصة المربعة.

ثم يأتي الحاسب الآلي منافساً حياً للكتاب، فقواعد المعلومات التي تقوم مقام الكتاب في نقل المعرفة تربو الآلاف، وهي توزع معلومتها على المشتركين الذين يتصلون مباشرة بها من أي مكان كانوا. وهي وإن كانت لا تحمل المعرفة كاملة اليوم، فهي في طريقها إلى ذلك في مستقبل قريب. واستخدام الحاسب الآلي عند الكثيرين يعد «الفرج» من كربة صعوبة الحصول على المعرفة في الوقت المناسب، وهناك الكثيرون من يرونه بهذا المنظار، لكنه في واقع الأمر ليس بهذه البساطة التي ينظر بها إليه، إذ إن له معوقاته وله أيضاً سلبياته رغم ما يقدمه من خدمات تقض مضاجع أهل الكتاب المدافعين عنه وعن وجوده.

ومن وجهة أخرى حل الحاسب الآلي محل الكتاب في اختزانه، للمصادر الثانوية التي تخدم الكتاب، وتجري التجارب حول وضع نص

الكتاب كاملاً في ذاكرة الحاسب الآلي، لكن هذا الإجراء لن يتم في وقت قريب، وإن كانت الدلائل التقنية تشير إلى أن الفكرة ستطبق بغض النظر عن عامل الزمن.

ومع هذا كله ومع كثرة المنافسين للكتاب، يبقى المصدر الأول والرئيسي للمعرفة، لكنه بدأ اليوم بتنازله عن شيء من المجد الذي تحلى به فترة من الزمن ليست باليسيرة وبدأت القطع الأدبية الرائعة التي اتخذت من الكتاب نعم الصاحب والعمدة، بدأت تراجع موقفها من الكتاب وتقحم نفسها في عالم اليوم الذي طغت فيه الآلة حتى على وسائل المعرفة التي تنقلها للبشر، وتنازل الكتاب عن شيء من مجده لا يعني بأي حال فقدانه لهذا المجد، رغم النظرات المتفائلة التي تنبأت بالاستغناء عنه في فترة لا تتعدى العقد الثاني من القرن الخامس عشر الهجري. وما علينا إلا أن نتأكد من النيات وراء إحلال الأشكال الأخرى محل الكتاب، فهي ـ فيما أرى ـ لا تخلو من جوانب سلبية ربما كان لها بصمات على الثقافة والتراث الذي تتمتع به هذه الأمة، إن لم يكن من قريب فلا أستبعد أن هذه الجوانب السلبية موجودة ولو على المدى البعيد، وعلينا أن نحذر من هذا بعد أن نقلب الأمور لنرى الجوانب الخفية فيها، وعموماً الحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحق بها.

الجزيرة ـ الجمعة ٢٢ ربيع الأول ١٤٠٥ هـ ـ

الموافق ١٤ ديسمبر ١٩٨٤ م ـ العدد ٤٤٦٠

معرض الكتاب الدولي السادس

يرعى سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز في اليوم العاشر من شهر صفر الخير من عام ١٤٠٨ هـ افتتاح معرض الكتاب الدولي التاسع الذي تقيمه جامعة الملك سعود. ممثلة بعمادة شؤون المكتبات، ويشترك في المعرض اثنان وسبعون وخمسمائة ناشر من داخل المملكة وداخل العالم العربي وخارجه. . والطيب في هذا العدد أن نصيب المملكة فيه يصل إلى خمسة عشر ومائة ناشر أي ما يعادل ٢٠٪ من مجموع الناشرين العالميين، يلي ذلكم في العدد لبنان التي تساهم بمئة واثني عشر ناشراً ثم مصر التي يصل عدد ناشريها في المعرض مئة وأربعة ناشرين (١٠٤) ولعل عدد المعروض سوف يتجاوز المليون (١,٠٠٠,٠٠٠) عنوان سيكون نصيب المطبوع حديثاً منها النصف أي حوالى (٥٠٠,٠٠٠) كتاب ولا يعني ذلك أن هذا النصيب من الكتب التي تعالج قضايا وأمور حديثة، وإنما يبدو أن المقصود بذلك أن هذه الخمسين بالمئة حديثة الإصدار والنشر تقتصر على الأربع سنين الماضية من عام ١٤٠٤ إلى عام ١٤٠٧ هـ ويمثل الناشرون العرب حوالى ٧٥٪ من عدد الناشرين بينما تتوزع البقية على الناشرين من غير العرب من مسلمين وأجانب في باكستان والهند وتركيا وقبرص واليابان ودول غرب أوروبا وأمريكا. ولن يقل التخفيض على المعروض عن ١٥٪ من القيمة الفعلية للمعروض.

وهذه المعلومات مستقاة من المشرف الأول على المعرض عميد شؤون المكتبات بالجامعة الذي يبدو أنه بذل الكثير من الجهد والعناء في سبيل أن يخرج بهذا المعرض بالصورة التي تليق بصرح علمي ضخم كجامعة الملك سعود. خاصة أن هذا المعرض هو الأول من نوعه في المدينة الجامعية وقد أجل أكثر من مرة ليخرج بالصورة المذكورة.

وليس من الحكمة أن نسبق الأحداث في هذا الإنجاز العلمي غير اليسير الذي يقصد به خروج الجامعة إلى المجتمع من خلال خدمتها إياه بواسطة الكتاب وإتاحته لكل أبناء وبنات المجتمع. ولكن الذي تتبع خطوات المعرض في عيون المثقفين والمتعلمين وطلبة العلم يدرك أن الجميع يتطلعون إلى مثل هذا الحدث الثقافي الذي يبين للجميع ما سبق، وإن أشرت إليه من أننا نسعى إلى تحقيق عمق الحضارة بدلاً من الاقتصار على مادياتها. وأعلم أن هناك مجموعة غير يسيرة من طلبة العلم قد «عطلوا» ارتياد المكتبات التجارية منذ فترة غير يسيرة أملاً في أن يشبعوا نهمهم العلمي والثقافي من خلال هذا المعرض. بل إني لا أخفيكم أن هناك غير قليل من طلبة العلم ممن عمدوا إلى توفير مبلغ من المال يقتطع من ميزانياتهم ورصدوه للمعرض أملاً في أن يجدوا ما يتطلعون إليه من منشورات تغطي ميولهم واتجاههم العلمي، ولا غرابة في أن يوفر المثقفون وطلبة العلم للمعرض، حيث إن المثقفين وطلبة العلم هم من أولئك الذين يحتاجون إلى التوفير عندما يعزمون على شراء شيء ثمين له معنى وقيمة.

الجديد في المعرض.

وهناك جوانب غير قليلة اتسمت بالجدة خلافاً للمعارض الخمسة الماضية، وهذه الجوانب الجديدة وإن كانت تتعلق بجوانب التهيؤ

للمعرض إلا أنها ستنعكس على سير المعرض ووصوله إلى الهدف الذي من أجله أقيم:

● فإقامة المعرض في المدينة الجامعية سيكفل سعة المكان والحرية في التحرك النسبي الذي تتسم به المعارض حيث يتيح المتجول في المعرض لنفسه الفرصة في أن يقف عند كل ناشر ليتعرف على ما لديه من جديد.

● يهتم هذا المعرض أكثر من ذي قبل بكتب الأطفال وكتب المكفوفين والمعوقين، والمكتبة العربية بحاجة إلى هذه النوعية من الكتب بعد أن أتاحت الحضارة الحديثة للجميع الحق في أن ينهلوا من الثقافة ما شاءوا، وما تركت أولئكم الذين فقدوا نعمة البصر ـ من هذا الحظ، وكذا أولئكم الذين ابتلاهم الله ـ تعالى ـ بجانب من جوانب الإعاقة.

●يبرز في هذا المعرض بوضوح الناشر السعودي أكثر مما برز عليه في المعارض السابقة.. وإن كان حوالى ٢٠٪ من الناشرين من السعودية إلا أنهم ليسوا جميعاً بالمعنى بالمتعارف عليه للناشر وسنرى أن بعضهم موزعون، وأياً كان الأمر فالإسهام المحلي بهذا المعرض يعكس الخلفية الثقافية التي وصلها إليها هذا المجتمع.

● لبنان رغم أنه بلغ من عمر المحن التي تمر به ثلاثة عشر عاماً أو تزيد لا يزال مُصرّاً على تزويد العالم العربي بما لذ وطاب من أطباق الثقافة، وإني أتوقع أن تنعكس مأساة الثلاثة عشر عاماً على بعض ما ينشر من لبنان (١١٢ ناشراً من لبنان).

● قيام المعرض على أرض المدينة الجامعية سوف يوفر للزائرين الخدمات المساندة كمواقف السيارات الرحبة وأماكن الراحة والمطاعم الصغيرة السريعة مع وجود المرشدين والقائمين على التوجيه استعانة بالحاسب الآلي.

● الاستعانة بالحاسب الآلي في طبع دليل المعرض، ويجد فيه الزائر ما هو معروض، ويستطيع أن يحمله معه إلى حيث يقيم ليستعرض المعروضات ويختار منها ما يريد قبل توجهه إلى المعرض. وهذا سيوفر الكثير على الزائرين، ومن ثم يتيح فرصة أكثر لعدد أكبر من الرواد، والمتوقع أن تفوق إحصائية الرواد لهذا المعرض الإحصائيات السابقة. ولا أظن أن بُعد الجامعة سيكون ذا تأثير على الإحصائية لأن المثقفين والمتعلمين وطلبة العلم يذهبون إلى أبعد من ذلك بكثير في سبيل الحصول على نسخة واحدة من كتاب، فكيف بهم وهم أمام مليون كتاب؟!

● هناك مؤشرات ثقافية وعلمية سيخرج بها القائمون على المعرض من خلال إقبال الرواد على موضوعات الكتب المعروضة. والمتوقع أن هناك موضوعات ستطغى على أخرى من حيث الإقبال، إذ إن هناك ناشرين سوف يغلقون ساحاتهم التي خصصت لهم لأنهم لن يجدوا ما يبيعونه بعد الأيام الأولى من المعرض، بينما ربما وجدنا بعضاً من الناشرين ينتظرون إلى أن يذكرهم القائمون على المعرض بانتهاء المدة المخصصة للمعرض..

● قد تبرز مشكلة الوقت إذ ربما احتاج الأمر إلى التمديد أكثر من المدة المخصصة للمعرض، وخاصة أن أياماً منها قد خصصت للنساء وهي قليلة وقللت من الأيام الخاصة بالرجال ولا أخال القائمين على المعرض لم يتعرضوا لهذه الناحية، وهم سيفكرون بمسألة التمديد.

● يقام هذا المعرض في بداية العام الجامعي (١٤٠٨) وفي هذا إيجابية كما فيه سلبية. فالإيجابية أن الطلبة وهم يشكلون نسبة من رواد المعرض سيقبلون عليه إقبالاً يفوق إقبالهم عليه لو كان في منتصف الفصل أو في آخره نظراً لما سيرتبط بهذه المدد من تكليفات علمية تحد

من تحرك الطالب.. والسلبية هنا ربما برزت عندما ندرك أن الفصل الدراسي لم يستقر بعد والجامعة كلها لا تزال مشغولة في مسألة الإعداد له مما سيعوق شيئاً من الجو المهيأ للإقبال على المعرض في الجانب الشعوري النفسي لا الجوانب الاستعدادية المتوافرة.

هذا ولعل من المناسب هنا الدعوة إلى إقامة مثل هذا المعرض في فروع الجامعة المختلفة.. ولعل من المناسب دعوة الجامعات السعودية الأخرى إلى إقامة معارض مماثلة منسقة فيما بينها من حيث زمن العرض. ولعل من الأنسب هنا أن هناك تنافساً في هذا المجال بين الجامعات فتدعى كل جامعة إلى إقامة معرض ليس كل سنة ولكن كل سبع سنين مرة فيكون المعرض قائماً كل سنة ولكن الإعداد والدراسات والاتصالات ستكون موزعة بين الجامعات السبع وربما المؤسسات العلمية والتعليمية غير الجامعات.

ومهما يكن من أمر فإن هذا المعرض إنما هو إشارة إلى إصرار هذه البلاد على طرق أبواب الحضارة الراسخة من خلال طرق أبواب المعرفة والولوج بكل ثقة في بوابات الثقافة، وتلكم مهمة واحدة من مهمات الجامعات، فهنيئاً لجامعة الملك سعود بهذا المعرض، وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة ـ السبت ١٠ صفر ١٤٠٨ هـ ـ ٣ اكتوبر ١٩٨٧ م ـ السنة الرابعة والعشرون ـ العدد ٥٤٨٣

آفة الكتاب..!!

قد يتبادر إلى الذهن أن أول آفة للكتاب هو ما نسمية بالأرضة ويسميه البعض ظلماً وعدواناً النمل الأبيض!! وبالمناسبة فقد اطلعت على إعلان في إحدى الجرائد المحلية أن مؤسسة مستعدة للقضاء على النمل الأبيض، وأبحث عن صاحب المؤسسة فأجده الجربوع!! علماً أن أخوالي لوالدتي من الجربوع وأنا من النمل، ولا يعقل في شرعنا أن يقتل الأخوال أبناء بناتهم، والله المستعان.

على أي حال ليس المقصود هنا هو الآفات الصغيرة كالأرضة والفئران، وإنما الطامة الكبرى في عالم الكتاب هي الآفات الكبيرة التي تمشي على قدمين (الإنسان)، وليس كل الناس آفات للكتاب، ولكن هنا فئة من الناس يقضون على مادة الكتاب بطول إجراءات طبعه ونشره.

ولا أتحدث هنا عن طمع الناشرين وجشعهم وسعيهم المادي على حساب العلم والثقافة والأدب ونشرها. فهذه وجهة نظر العلماء والمثقفين والأدباء.. والناشرون لهم وجهة نظر واسألوا الأديب المثقف الناشر علي العمير أو الأديب المثقف الناشر علوي طه الصافي أو الأديب المثقف الناشر/ عبد الله الماجد أو غيرهم ممن تركوا الأدب مهنة واختاروا النشر سبيلاً للرزق ينبئونكم عن مهنتهم الجديدة.

المشكلة في الكتاب أنه يقبع سنين ـ دون مبالغة ـ عند بعض الناشرين العلميين دون أن يرى النور ولأسباب غير عادية وليست هي أسباب تقنية. . وإنما التأخير قد يكون لأن المسؤول الأول يود الإطلاع على المادة العلمية، أو جزء من المادة العلمية، ولكن وقته الثمين لا يسمح له بذلك فيبقى الكتاب بين مكائن المطبعة حتى يذبل وتذوب مادته العلمية.

ويقول علماء العلوم إن المادة العلمية تحتاج على الأقل إلى سنتين لتعرف بعد نشرها وبعد الإعلان عنها وبعد رصدها في قوائم الكتب المطبوعة وبعد تصنيفها وفهرستها ووضعها على أرفف المكتبات العلمية، فإذا عرفت بعد سنتين تكون مادتها العلمية قد تآكلت. هذا إذا نظرنا أنها ستبقى في المطبعة لمدة سنتين وأن وقت تأليفها قبل دفعها إلى المطبعة قد يستغرق أربع سنين، فهذه ثمان سنين مضت على الكتاب قبل أن يقع في يد المستفيد (القارىء) الذي ألف الكتاب من أجله.

وربما لا نستطيع الإسراع في تأليف الكتاب وبخاصة إذا كان علمياً، وربما لا نستطيع الإسراع في مدة انتشاره بعد خروجه من المطبعة، فهل نستطيع ايجاز المسافة الزمنية بالتغلب على وقت الطبع؟ الناشرون التجاريون يقولون: نعم ويضمنون ـ تقريباً ـ إيجاز المسافة الزمنية بالتغلب على وقت الطبع. . اختصار المدة إلى أقل من سنتين بكثير، بل إن بعضهم على استعداد لإخراج الكتاب لشهرين إذا كانت مادته جاهزة وكان مؤلفه متجاوبًا مع المطبعة في التصحيح والمتابعة، ولكن آفة الناشر التجاري أنه يريد أن يقبض وغالبية الذين يؤلفون كتبًا علمية ليس لديهم ما يقبّضونه للتاجر، فهم أنفسهم بحاجة إلى القبض، ولذا نرى أن الإنتاج العلمي يضيع أحياناً بين أروقة البيروقراطية التي لا يهمها أن يتقدم الناس أو أن يتأخروا ما دام

«الشيك» سيسلم مع نهاية الشهر.. مساكين هؤلاء العلماء من كل فن فإنهم يضيعون في متاهات لا يدركون كنهها ولا يراد لهم أن يدركوا كنهها. ومع هذا فهم ماضون في نشر المعرفة رغم العقبات التي تعترضهم رغبة منهم في النهاية إلى أن يخلفوا علماً ينتفع به في الدنيا وينفعهم في الآخرة، كان الله مع هؤلاء، وكان الله في عون الجميع.

البلاد ـ العدد ١٠٢٨١ الاثنين ٢٦ صفر ١٤١٣ هـ

الموافق ٢٤ أغسطس ١٩٩٢ م

obeikandl.com

ظاهرة المؤلف المجهول

وجود مؤلفات مجهولة المؤلفين ظاهرة غير جديدة، بل يكاد المرء أن يقول إنها صاحبت ظاهرة التأليف نفسها منذ عرفنا التأليف في الحضارة انيونانية (الإغريقية). ويذكر الدارسون لهذه الحقبة من الزمن أن بعض المؤلفات ربما تكون نسبت إلى مشاهير الفلاسفة اليونان (أفلاطون وأرسطو وأفلوطين) وهي ليست لهم لأنها كانت مجهولة المؤلفين.

وفي تراثنا العربي الإسلامي مجموعة من المخطوطات مجهولة المؤلفين، وقد يكون هذا لأسباب فنية مثل ضياع صفحة العنوان أو نسيان الوراق كتابة اسم المؤلف أو ما إلى ذلك.

وتستمر الظاهرة إلى وقتنا الحاضر حيث نجد الآن أن هناك أسباباً عدة تضطر بعض المؤلفين إلى عدم التصريح بأسمائهم واستعارة أسماء وألقاب أو كنى تختفي وراءها الأسماء الحقيقية، وربما ظهرت بعض الأعمال دون ذكر اسم المؤلف البتة، ومن هذه الأسباب:

١ ـ **الأسباب السياسية**: حيث يكتب أحدهم كتاباً عارضاً فيه سياسة حكومة ما أو حزب ما أو دولة ما، ولكنه لا يبدي عليه اسمه طمعاً في التعمية وعدم الوصول إليه لمعاقبته.

٢ ـ **الأسباب الدينية**: حيث يتهجم أحدهم على الدين أو على جزئية من

التعاليم الدينية، ولكنه لا يجرؤ على ذكر اسمه خوفاً من ملاحقة المعنيين بالأمر له، خاصة إذا كان مؤلفه عاطفياً مغرضاً ليس له أساس ولا له أصل.

٣ ـ **الأسباب الاجتماعية**: عندما يتحدث مؤلف عن ظاهرة اجتماعية أو عادة أو تقليد يقصد إلى إزالته، ولكنه مترسخ في المجتمع بحيث لا يجرؤ المؤلف على ذكر اسمه خوفاً أدبياً من المجتمع.

ويدخل في هذا الخجل من ذكر الاسم ـ ولا أقول الحياء ـ ويبرز هذا الخجل بين النساء في الغالب عندما لا تريد المرأة أن تشتهر بالتأليف مع أنها تكتب كتابة بناءة فيها إصلاح، ولا أعلم أن لهذا التصرف أساساً شرعياً، فنحن نعرف من أعلام النساء ما يشغل أكثر من خمسة مجلدات ظهر ببعضها عمر رضا كحالة، ومجلدات أخرى في كتب السير والتراجم.

وعلى أي حال فظاهرة المؤلف المجهول ليست على العموم ظاهرة صحية، وهي تنبىء عن أوضاع غير طبيعية في بيئة تمارس ضغوطاً سياسية أو دينية أو اجتماعية مع ظهور أفراد في المجتمع لا يتمشون مع المسار العام لهذه البيئة.

ولعل أقرب مثال على هذا ما حصل للعرب بخاصة من أزمات مرت بهم منذ بداية النصف الثاني من القرن الميلادي الحالي عندما مورست في بعض الدول العربية بعض الضغوط على فئات من المثقفين والمفكرين والمصلحين الذين رفضوا التحول الإيديولوجي المفاجىء. ويمتد هذا إلى بداية الثمانينات الميلادية كذلك مع محاولات فرض توجه ثوري على العالم العربي بخاصة والعالم الإسلامي بعامة، فكانت الكتابات مجهولة المؤلفين لفضح هذا التوجه الثوري والحد من تصديره. ثم جاء مطلع هذا العقد الميلادي الحالي وحلت بالأمة العربية والإسلامية

تلكم الأزمة التي حلت بنا ولا تزال آثارها باقية، تعمد بعض الناس إلى الكتابة غير المتوجه بأسماء المؤلفين للرد أو لفضح هذا النظام الذي قلب ظهر المجن لأولئك الذين كانوا يعتقدون أنه من الشهامة العربية بحيث يقدر لهم مواقفهم معه في محنته التي خرج منها بخفي حنين.

obeikandl.com

عندما يتحدّث إليكم الكِتَاب!

قال كتاب: أفرد في منزله غرفة لا بأس بمساحتها، ووضع على جدرانها الرفوف، ورص على الرفوف مجموعة من الكتب جعلني بينها. كانت الغرفة جديدة والأثاث فيها جديد، فاستبشرت خيراً بهذا الساكن الجديد الذي سيكوّن معي ومع أترابي صداقة مستمرة وقوية تقوم على زيارات من قبله لنا نتناقش خلالها حول موضوعات تهمه ويجد لها مجالاً عندنا. وكان يدخل علينا في بداية الأمر كل يوم ليضم إلينا مجموعة من الأتراب فنرحب بهم في حديقة المعرفة ونحن زهورها وثمارها. وكان كلما دخل علينا الغرفة تبادلنا النظرات فيما بيننا متوقعين أن يحمل واحداً منا بين يديه الحانيتين فيقلب صفحاتنا ويلاحق سطورنا بعينيه المركزتين. ونحن مجموعة يتعبنا أن نكون مرصوصين على بعضنا أو مستندين على بعضنا فنحتاج بين الفترة والأخرى إلى أن نرتاح من هذا الأسلوب الرتيب بالانتقال في الغرفة أو خارجها، ويعجبنا أحياناً أن نخرج خارج المنزل إلى منزل زميل لصاحبنا يستضيف بعضنا فترة من الزمن نؤنس فيها وحشته ونكون له فيها نعم الصديق. ومما يؤسف له أن صاحبنا حتى الآن لم يكلف نفسه عناء النظر إلينا كلما دخل علينا في الفترات الأولى. ولم يقف الأمر عند ذلك بل إن صاحبنا صار يغيب عنا فترات متباعدة حتى

الصحف التي كنا نرى فيها منافساً لنا لم تعد تدخل علينا ولم يعد تقليب صفحاتها يزعجنا كما كان من قبل، وكم تمنينا ذلك.

وبعد فترة ليست بالطويلة دخلت علينا سيدة يبدو أنها غريبة عنا فهي لا تعرف اللغة التي كتبنا بها، وكانت تدخل علينا لتنفض عنا الغبار، وكانت تنزع بين الآونة والأخرى واحداً منا تقلب صفحاته فلا تلبث أن تهز رأسها متعجبة كيف يستطيع مستخدموها أن يقرأوا لغتنا. وكان يبدو عليها أحياناً شيء من الذهول وكأنها تأسف لمصيرها ونصيبها اللذين حرماها من قراءة الكتاب وتبعات قراءة الكتاب من وصول إلى درجات أرفع مما وصلت هي إليه الآن. وهي بذلك تتعجب من مستخدميها الذين رزقوا هذه القدرة ولكنهم حتى الآن لم يستغلوها.

تجرأت عليها مرة وسألتها عن صاحبنا فقالت: إنه يجلس أمام جهاز أسمته بالتلفزيون، فتعجبت من هذا الجهاز، وسألتها عن مدى استمراريته فقالت: إنهم يتحكمون فيه فيفتحونه متى أرادوا ويغلقونه كذلك، فهم الذين يختارون برامجه. ولم أعلم ذلك من قبل فقد توقفت معلوماتي عند طباعتي عند اختراع جهاز مرئي أسموه بالتلفزيون تتحكم فيه وفي برامجه محطات يقوم عليها عاملون وفنيون كثيرون، ولكن الخادمة أوحت إليّ بأن هذا امتداد للجهاز المرئي يكون التحكم فيه محلياً وربما لا يحتاج إلى الرجوع إلى المحطات المحلية للاستعانة بتشغيله.

وكان في جوابها تفسير لعزوف صاحبنا عنا، فقد ألهاه هذا الجهاز، وبدأنا نخاف على مصيرنا ومستقبلنا، وكم تمنينا أن ينقلنا صاحبنا لتلكم البناية الكبيرة التي تضم مجموعة كبيرة من أترابنا ويسمونها المكتبة العامة، إذ إن فرصة مصاحبتنا هناك أفضل منها هنا، فأصدقاؤنا هناك كثيرون من أولئكم الذين آثروا أن يبقوا صداقتهم معنا رغم المغريات الكثيرة التي تدعوهم إلى العزوف عنا. ومنذ ذلك الوقت الذي أخبرتنا فيه

الخادمة عن عزوف صاحبنا ونحن نعيش حالة من الوحشة، لأننا من نوعية لا يؤنس فيها بعضنا بعضاً وإلا لهان الأمر علينا، ولكن ما أريد من وجودنا على هذه البسيطة أن يأنس بنا الكثيرون، والذي يبدو أن هؤلاء الكثيرين أضحوا قليلين واللّه المستعان.

* وقال كتاب آخر: دخل المكتبة الخاصة أحد الزائرين لصاحبي، فصار يتصفح الكتب واحداً واحداً معجباً بهذا مثنياً على ذاك، حتى وقعت بين يديه فأعجبته كثيراً ولم يعجبني قط! ولكنه لم ينظر إليّ من هذه الزاوية، ولكنه تصور أني سأكون له صاحباً على مر الأيام، فطلبني من صاحبي أيامًا محدودة ورغم أني أعلم أن صاحبي حريص عليّ وعلى أترابي حرصاً شديداً إلا أنه انهزم أمام رغبة صديقه في أن يحتضنني أياماً معدودة أعود بعدها إلى صاحبي وأترابي الذين تعودّت عليهم وتعودوا عليَّ. أخذني هذا الصاحب الجديد ورماني أول ما رماني على مقعد السيارة الخلفي لأقبع هناك فترة غير يسيرة من الزمان آثرت فيها النوم والراحة لعلهما ينسياني الوضع الذي انتهيت إليه، ولكني فوجئت يوماً بطفل صغير يطأ عليّ حتى كاد يمزق أمعائي، وتحت إلحاحي في العويل التقطني صديقي والد الطفل رحمة بي أو رحمة بالطفل فرماني في مؤخرة السيارة، تلكم المساحة التي يلجأ الكثيرون إلى ملئها بالديكورات وأدوات الزينة وربما مكبرات صوت المذياع وآلة التسجيل، وعلى أي حال فأنا هنا أرى النور وتراني الشمس في فصل يعشق الكثيرون فيه الشمس. والعجيب أن هذا الرجل الذي رماني في مؤخرة سيارته لم يلتفت إليّ ليتذكر أن لي صاحباً ينتظرني وأتراباً أتوق لرؤيتهم.

وفي يوم من الأيام ركب مع هذا الرجل صديق له فصارا يتحدثان وعلمت من الصوت الجديد أنني مع رجل غير غريب عليّ فصوته ذكرني به وبأترابي وبالمكتبة «داري ومقامي» وكدت أصرخ منادياً إياه أن أخرجني

من هذا المأزق، ولكن طبيعتي خانتني. إذ إنني لست من أولئك الذين يفكرون بصوت عال. ولكن صاحبي آثر أن يخرجني من هذا التفكير عندما ذكَّر صديقه بأنه قد استعار منه قبل ثلاثة أشهر كتاباً، وسأله إن كان قد قرأني وما رأيه فيما احتويته بين دفتي.. وقد علمت من أسلوبه في السؤال أنه يذكر صاحبنا بضرورة إعادتي إلى أترابي حيث إليهم أنتمي. فما كان من صاحبنا إلا أن يلتفت إليّ قائلاً لصديقه أنه قد نسيني في مؤخرة السيارة ولم تتح له الفرصة لقراءتي. فما كان من صاحبي إلا أن التلفت إليّ ورمقني بنظرة كلها وجد، فيتناولني ويضمني بين يديه الحانيتين ولسان حالي يقول: باللّه عليك لا تطلق سراحي، فعيشي معك كله خير ومحبة. وكأن أفكاري وأفكار صاحبي يلتقيان عندما استأذن صديقه في إعادتي إلى أترابي فلم يبد الصديق رغبة في إبقائي عنده مدة أطول، وكان هذا من حسن حظي.

وكان من حسن حظي كذلك أن ركب صاحبي في سيارة صديقه ليلقاني ويعيدني إلى مكاني، وذلك لأن بعضاً من أترابي سبق لهم أن خرجوا من عندنا ولم تتم إعادتهم إلى رفوف المكتبة إلى اليوم مع أن صاحبنا قد سجلنا في بطاقات صغيرة حفظها عنده في أدراج مخصصة لهذه البطاقات. فبقى أولئك الأتراب مجرد بطاقات، ولا يعلم صاحبنا أين مواقعهم، فهو لم يتعود على تسجيل ما يخرج منا في نماذج يخصصها لهذا الغرض قصداً إلى متابعتها، ذلك أن صاحبنا لم يتوقع أن يخرج واحد منا خارج غرفتنا الدافئة بنا. وكل من خرج منا لم يخرج إلا مجاملة لأولئكم الأصدقاء الذين يزورونه فيزورونا ويعتقدون أنهم بأخذنا سوف يزدادون ثقافة وعلماً ولكنهم يكتفون برمينا (دعامة) يرفد بها طاولة تلكم الأجهزة التي نافستنا وسحبت منا كثيراً من أصحابنا الذين يقرأون ما بين دفتينا وقد تركتنا لقلة من الأصحاب يعرفون قدرنا فيكرموننا ويحترموننا، واللّه المستعان.

* وقال كتاب ثالث: لقد خرجت إلى الوجود رغماً عني. وإذا كان الكثيرون قد أثنوا عليّ وعلى نوعيتي من الكتب، إلا أني أحمل بين دفتيّ خطراً جسيماً على الناس كلهم، وعلى الشبيبة بوجه أخص. فما أحمله لم يرد من ورائه إلا أن يكون صاحبه ذا شهرة في أوساط خاصة مهمتها نشر الفكر الهدام في مجتمعات طاهرة. أنا من نوع أتمزق حين أقرأ لأني أعلم أنني لم أظهر لأستغل هذا الاستغلال. وكثيراً ما حاولت مع بعض من يقرأونني أن أصدهم عني بأن أختبىء تحت صحيفة أو وراء مسندة أو تحت سجادة. ولكنهم يبحثون عني ويلتهمون صفحاتي التهاماً.. إنني كتاب يضم بين دفتيه سموم الغرب وسموم الشرق التي تدعو إلى التفسخ فاحذروني.

الجزيرة ـ السبت ٢٢ جمادي الأولى ١٤٠٦ هـ

الموافق ١ فبراير ١٩٨٦ م ـ العدد ٤٨٧٤

عندما تستعير المكتبَة من المَكتبَات!

الذين يترددون كثيراً على المكتبات بعامة، وعلى الجامعية ومكتبات البحث بخاصة يرتطمون أحياناً بعدم وجود المادة العلمية التي يبحثون عنها، سواء كانت كتاباً أو مقالة من دورية أو نحوهما، وهذه الظاهرة لا بد من حدوثها في أية مكتبة مهما كانت متمكنة من عدد كبير من المجموعات، وإزاء هذا ظهر بين المكتبات أسلوب يقوم على الاستعانة بالمكتبات الأخرى في سبيل تحقيق رغبات المستفيدين. فما عليك إلا أن تطلب المادة العلمية من مكتبتك لتصلك في أسرع وقت، دون أن تكلف نفسك البحث وراءها وأنت مشغول في أبحاثك ودارساتك، فهذه المهمة اليوم أصبحت من مهمات المكتبة، ولا يهمك الأسلوب الذي تصلك بواسطته رغبتك ما دامت تصل على أي حال.

وفي الأيام القليلة الماضية تبنى مكتب التربية العربي لدول الخليج ندوة دعا إليها عمداء ومسؤولي المكتبات الجامعية في منطقة الخليج العربية ناقش فيها المجتمعون إمكانية تطبيق هذا الأسلوب (الإعارة بين المكتبات) بين جامعات الخليج من خلال مكتباتها. والذي اتفق عليه المجتمعون عموماً هو أن هذا الأسلوب ضرورة عصرية لا بد منها ما دامت المنطقة تسعى جادة في طريق المعرفة. والذي بدا أن إدراك هذه

الضرورة متحقق لدى الجميع. فكان الحديث منصباً على أساليب تطبيق هذه الوسيلة، وهنا أيضاً بدت ظاهرة مشتركة دعت إلى تذليل جميع العقبات التي تعترض هذا السبيل وعلى رأسها ـ كما العادة ـ العقبات المالية.

البريد، البرق، الهاتف:

وأسلوب الإعارة بين المكتبات يتطلب وجود تجهيزات تدعمه وتعمل على فعاليته. وربما أن المعلومات لا بد أن ترسل من مكتبة إلى أخرى فلا بد أن يكون للبريد دور بارز في هذا. والمكتبات تسعى إلى إقناع الكثيرين بضرورة إعفاء المواد العلمية من أجور البريد وضمان وصولها إلى من أرسلت إليه ضماناً فوق العادة يفوق ضمان وصول الرسائل إلى أهلها. ولا يعني هذا بحال من الأحوال عدم ضمان وصول خدمات البريد لكل مكان، ولكن صناعة البريد اليوم فرضت أولويات في وصول الرسائل إلى أهلها. وجعلت لهذه الأولويات مقاييس ومعايير. ونحن نسعى إلى أن نطبق معايير الأولويات على المادة العلمية المرسلة من مكتبة إلى أخرى، وهذا لا يتم إلا بموافقة المعنيين بعد أن تتضح لهم الفكرة وعمقها.

ومثل ما قيل عن البريد يمكن أن يقال عن الهاتف بحيث تتمكن المكتبات من إيجاد خطوط «مجانية» بينها تمكن العاملين فيها من متابعة طلباتهم حرصاً على الوقت الذي يوفره الهاتف في مقابل إرسال الطلب بريدياً، علماً أن بعض الطلبات ربما كانت مقالات من دوريات أو نشرات أو تقارير قليلة الصفحات، فترسل بالهاتف مع الاستعانة بأجهزة «البث المصور» الذي شاع أخيراً استعماله في الهيئات التي تعتمد على السرعة في الحصول على المعلومات، ويأتي على رأسها الصحف اليومية السيارة.

ويدخل في التجهيزات هذه أساليب الشحن الجوي التي ربما استعين بها في إرسال كميات كبيرة من الطلبات يتعذر على البريد ـ تبعاً لنظامه ـ أن يقبلها دفعة واحدة، وهنا يأتي دور الخطوط الجوية لتساهم في مثل هذا المشروع بتقديم خدماتها المماثلة في الأداء لخدمات البريد.

وهكذا يبدو أن أسلوباً حضارياً عصرياً لا بد أن يقف وراء مجموعة من الهيئات المساندة التي تتكفل بضمان تطبيقه، وتقدم خدماتها لأهل العلم ورواد المكتبة من الباحثين والدارسين، ولا يستبعد أن يقال لك في يوم الأيام تطلب فيه مادة علمية أنها سوف تصلك في غضون أيام قليلة من جامعة الكويت أو جامعة الموصل، أو جامعة السلطان قابوس، هذا إن لم يطلب منك الانتظار للحظات يتم فيه الاتصال لتصلك صورة مما تريد عن طريق استخدام ذلك الجهاز العجيب.

ولعل ترحيب عمداء ومسؤولي المكتبات الجامعية في منطقة الخليج العربية بهذه الفكرة وحضورهم ندوة لمناقشتها يعد بحد ذاته خطوة عريضة إلى الأمام، ولعلها تكون منطلقاً لتطبيق مثل هذا النظام بين الدول العربية عموماً، خاصة أن بعض المكتبات في المنطقة اليوم تستخدم هذا النظام مع مكتبة الإعارة البريطانية في لندن فيما يتعلق بالمطبوعات الغربية، خاصة منها ما هو منشور باللغة الانجليزية، ولولا شعور هؤلاء المسؤولين بإمكانية مثل هذا النظام بين مكتبات الجامعات لما كلفوا أنفسهم عناء مثل هذه الندوات التي لا بد لها أن تتمخض عن نتائج إيجابية خاصة مع وجود هيئة منسقة نشطة مثل مكتب التربية العربي لدول الخليج، الذي تتعدى وظيفته مجرد التنسيق إلى العمل على تطبيق النتائج والتوصيات التي يخرج بها المجتمعون في كل مجال من مجالات التربية والتعليم.

العقبات الداخلية:

ولا نغفل هنا أن بعضاً من مكتبات المنطقة، لا تزال في عمرها

قصيرة النشأة تحتاج إلى كثير من الوقت لتقف على قدميها، بعد أن تتحقق لها أهداف رسمتها تشمل التغلب على ما تعانيه المنطقة من قوى عاملة خبيرة وأدوات ببليوغرافية موحدة وجوانب فنية أخرى ليس هذا مجال سردها. إلا أن هذه المجموعة من العمداء والمسؤولين تدرك مثل هذه العقوبات وتحاول تذليلها، ولا يعدو الأمر أن يكون خاضعاً لفترة زمنية محدودة يمكن من خلالها تحقيق مثل هذه المتطلبات على مستويات العضو الواحد كالمملكة العربية السعودية، ثم بعد ذلك يجد الجميع أنفسهم في شبكة من التعاون العلمي والثقافي الكل يصبو إليه. والتعاون العلمي والثقافي لا يتوقع له أن يرى النور إن لم يبدأ خطواته الأولى من المكتبة.

ولعل التركيز على مكتبات الجامعات دون غيرها بداية أولية لما تلاحظ عليه هذه النوعية من المكتبات من سرعة تبنيها للنظرات الحديثة في خدمات المكتبة، وبعض هذه المكتبات تستقي خبرتها من الأقسام العلمية الخبيرة في جامعاتها مثل أقسام الكتابات والمعلومات وأقسام التربية والحاسب الآلي ونحوه ما يدعم تطبيق النظرات الحديثة هذه ويعين على وجود الخبرة فيها، وهناك أمل يحدو الجميع في أن يشمل هذا النظام بقية المكتبات المتخصصة والعامة والمدرسية ومراكز المعلومات. وعليه فإن تطبيق هذا النظام مبدئياً على نوعية واحدة جاء تبعاً للظروف العلمية التي تعيشها هذه النوعية من المكتبات دون غيرها في الوقت الراهن.

الأمية غداً...

وتعد المملكة العربية السعودية خطة تعتزم فيها القضاء على الأمية ـ عدم القدرة على القراءة والكتابة ـ في أبنائها. وفي مدة أقصاها عشرون

عاماً ربما احتفلت هذه البلاد بوصول نسبة المتعلمين فيها إلى مائة بالمائة (١٠٠٪)، وهذا بدوره يضفي مسؤولية كبرى على جهات متعددة أبرزها قطاع التربية والتعليم حيث الآف المدارس (أكثر من ٣٤٨٢ مدرسة)، ولا يقتصر قطاع التربية والتعليم على وزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات كما يتبادر ذلك عادة إلى الذهن، ولكن هذا القطاع يشمل جهات أخرى متعددة أخذت على عاتقها المساهمة في القضاء على الأمية، فالحرس الوطني يساهم بأكثر من (٦٩) مدرسة، ووزارة الدفاع والطيران تساهم بأكثر من (٦٤) مدرسة وهكذا تتضافر الجهود لتحقق الهدف الذي تصر المملكة على أن تصل إليه في أقرب مدة ممكنة.

وهذا بدوره يضفي مسؤوليات أخرى على المكتبات عموماً حيث سيزيد الإقبال عليها بزيادة أعداد المتعلمين، وسيضطرها هذا إلى إتباع الأساليب الحديثة التي تكفل للمواطن السعودي والمواطن الخليجي أن يشق طريقه في سبيل النهوض بنفسه وبلده وأمته إلى النور الذي حمل مشعله أجداده من سلفه الصالحين، وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة ـ السبت ١ جمادي الأولى ١٤٠٦ هـ

الموافق ١١ يناير ١٩٨٦ م ـ العدد ٤٨٥٣